لعبة جرّ الحبل

في أية محاولة لاستقراء احداث الشهر الماضي، لا بدّ من التوقف عند ملتقى منعطفين: الأول، الحوار الاميركي ـ الفلسطيني في جولته الرابعة في تونس؛ والثاني، التقارب الذي طرأ على العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية. ويبدو من خلال التمحّص في ثنايا هذين المنعطفين، ولو بصورة أولية، ان الطرفين، السوفياتي والاميركي، كل لاعتباراته الخاصة، لم يتقدما، حتى هذه اللحظة، بخطة مفصّلة الى طرفي النزاع في المنطقة، الاسرائيلي والفلسطيني، بل اعتمدا اسلوب دفع الطرفين المتنازعين نفسيهما الى تقديم المقترحات، ومناقشتها، والاتفاق عليها، خطوة خطوة، على ان تصبّ الخطوات المتتالية في خانة التسوية النهائية التي أوضح الجباران، من منطلقات متغايرة، التزامهما بها وتصوّرهما لاطارها.

سقف التنازل

الدبلوماسية الاميركية أكدت، على لسان وزير الخارجية، جيمس بيكر، ان «الفجوة الاساسية ما بين الطرفين المتنازعين واسعة للغاية، والاجواء مفعمة بالعنف والتوتر وانعدام الثقة الى درجة تحول دون بدء المفاوضات الآن؛ ولذلك، فاننا ما زلنا نؤكد، منذ آذار (مارس) الماضي، الحاجة الى اسلوب الخطوة خطوة»؛ امّا الهدف، في هذه المرحلة، فهو تخفيض حدّة التوتر، «والدفع لقيام حوار ما بين الاسرائيليين والفلسطينيين لتهيئة ظروف ملائمة للمفاوضات حول الترتيبات الانتقالية وحول الوضع النهائي» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٤/٨/١٩٨٩). وفي ما يتعلق بالشق الدولي لخلق الاجواء الملائمة، فانه، حسب التفكير الاميركي، يقوم على حثّ الدول العربية والمجموعة الاوروبية والاتحاد السوفياتي على تجنّب التركيز على البدائل «المصطنعة»، مثل المؤتمر الدولي، واستبدال ذلك بالتركيز على المفاوضات المباشرة بين الاطراف المتنازعة (**المصدر نفسه**).

بمعنى آخر، ان هذه السياسة ما زالت تركز على ضرورة اتاحة الفرصة للطرفين المباشرين (الاسرائيليين والفلسطينيين) للتعامل المباشر، بشكل او بآخر، قبل التفكير العملي بالمؤتمر الدولي غير المستبعد نظرياً، على أساس ان عقد مثل هذا المؤتمر قبل أوانه سيؤدي الى تفجّره بسرعة، بسبب التعارض الكبير في المواقف، الامر الذي يعود بعملية التسوية الى نقطة الصفر.

هذا الاعتقاد أكدته جولة نائب وزير الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط، جون كيلي، مطلع الشهر الماضي، على عدد من البلدان المعنيّة في المنطقة، حيث ارسلت، من خلالها، اشارات غير متناغمة حول بعض مفاصل هذه التسوية. فقد اكتفت الدبلوماسية الاميركية بمبدأ اساس لم يزل غير مقبول لدى الطرفين المتنازعين، الاسرائيلي والفلسطيني، وهو رفض ضمّ اسرائيل للاراضي المحتلة، ورفض قيام دولة فلسطينية مستقلة، مع العمل من اجل البحث عمّا درج كيلي على تسميته بـ «الحل الوسط المعتدل» (**جيروزاليم بوست ويكلي**، ٥/٨/١٩٨٩، ص ١ ـ ٢).

من هنا، طرحت واشنطن دورها الساعي الى زحزحة كل من اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية عمّا تراه مواقف «غير واقعية»، من اجل جعل التفاوض ممكناً. ويعني هذا، في تقدير معظم المراقبين، صياغة جديدة لسياسة الخطوة خطوة التقليدية في معادلة المرحلية، بترابط غير محدّد ما بين المرحلة الانتقالية والمرحلة النهائية. امّا الخطوة الاولى في هذه المعادلة، فهي اجراء الانتخابات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة؛ وهذه الخطوة تتطلب بدء الحوار المباشر ما بين فلسطينيي الداخل والاسرائيليين، وهو ما يفسّر الاهتمام الاميركي باستمرار جولات الحوار مع المنظمة حتى ولو